٤٠

مدرسة دار الحكمة للعلوم الإسلامية

مركز دار التنمية والدراسات الإسلامية

محاضرة مكتوبة

المسؤولية الشرعية والأخلاقية والمهنية للكادر الطبي

الدكتور السيد
خليل اليزدي الطباطبائي

-٢٠٢٣-

المسؤولية الشرعية والأخلاقية والمهنية للكادر الطبي

تعريف البحث:

يُقدّم هذا التقرير لمحاضرة الدكتور السيد خليل اليزدي الطباطبائي، في مركز مدرك للتنمية والدراسات الإسلامية التابع لمؤسسة دار الحكمة في النجف الأشرف ضمن مخيم ثقافي لمجموعة من الكوادر الطبية في مختلف التخصصات يستعرض فيها المسؤولية الأخلاقية والشرعية الكبيرة الملقاة على عاتق الكوادر الطبية في المجتمع. ويشدد على ضرورة تحري الدقة التامة في التشخيص والمختبرات؛ لأن أي إهمال بسيط قد يؤدي إلى إزهاق الأرواح أو هدر أموال المرضى بلا مبرر. كما يتطرق إلى أهمية الالتزام الديني والسلوكي للطبيب ليكون قدوة تعكس قيم أهل البيت، محذراً من التبعات الأخروية للتقصير في حقوق الناس. ويوضح النص أن الإتقان في العمل ليس مجرد واجب وظيفي، بل هو أمانة يُحاسب عليها المرء في دنياه وآخرته. وفي الختام، يُشجع الشباب على برمجة وقتهم لطلب العلوم الدينية والوعي الفكري لتمكينهم من مواجهة الشبهات المعاصرة.

المسؤولية الشرعية والأخلاقية والمهنية للكادر الطبي

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين، وخاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا ونبينا وحبيبنا وحبيب إله العالمين، الرسول الأمجد، المحمود الأحمد، أبي القاسم المصطفى محمد.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾[1]، صدق الله العلي العظيم.

يسعدني أن أكون معكم في هذه الجلسة، وأنتم من مناطق مختلفة من العراق، لنتبادل أطراف الحديث فيما يهمنا من أمر ديننا ودنيانا وآخرتنا. إن الكادر الطبي—وكما عرفت أن أغلب الإخوة من الكوادر الطبية في تخصصات المختبرات أو الصيدلة أو الطب— له مسؤولية خاصة بالإضافة إلى المسؤوليات العامة لكل إنسان مؤمن. أولاً، يُنظر إلى الطبيب بنظرة إعجاب واحترام وتقدير في المجتمع، لذا فإن سلوكه ينعكس على المجتمع؛ وكما قال الإمام الصادق (عليه السلام): ((معاشر الشيعة كونوا لنا زينا ولا تكونوا علينا شينا))[2]، فسلوك "الزين" من الكادر الطبي له آثار مضاعفة على الناس.

[1] - التوبة: ١٠٥
[2] - بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٦٨ - الصفحة ٣١٠

المسؤولية الشرعية في العمل الطبي

يأتي المريض وهو ملهوف، متعب، يعاني من مشكلة صحية، وأحياناً يكون ابنه في حالة حمى عالية تشرف على الموت، وحينما ينقذه الكادر الطبي بعلاجه ورعايته، ينظر الناس إليه بمنظار كبير جداً، كما ينظرون للعالم بنظرة تقديس واحترام. لذلك، فإن سلوك الطبيب الإيماني الملتزم والواعي يؤثر كثيراً في المرضى.

بالعودة إلى الستينيات، كان الجو العام يسوده الإلحاد والكفر والتيارات المادية والوجودية وأفكار دارون، وكان الكادر المؤمن قليلاً جداً. كان البعض يرى أن الجامعة محض انحراف وضلال، ولكن الأفراد القلائل من المتدينين الذين ثبتوا في الجامعات كان لسلوكهم أثر كبير في تقوية إيمان الآخرين. الإنسان إذا صمد وبقي نموذجاً مشرفاً ومشرقاً في المجتمع، سيكون له تأثير كبير، تماماً كالشمعة الواحدة التي تبيد الظلام مهما كان كبيراً.

يوصي أهل البيت (عليهم السلام) بأنه يجب على المنتمي إليهم أن يتجسد فيه أسمى المعاني الأخلاقية من تقوى، وأمانة، وإخلاص، ورعاية، ومروءة، وشهامة. إن الكادر الطبي لديه مسؤوليات شرعية ربما يغفل عنها، ولحساسية وضعه يحتاج إلى مراعاة الدقة والتفقه في الأحكام الشرعية الطبية. فالأخطاء الطبية محاسب عليها، وهناك ضمان ديني يستوجب دفع "الدية" في بعض أمور الجراحة إذا حدثت الوفاة بسبب خلل أو تقصير من الطبيب أو المخدر أو الممرض.

أمثلة من الواقع على الإهمال والدقة

أذكر حالة في عام ١٩٧١ لطالب في كلية طب الأسنان كان يعاني من فتحة في القلب. أجرى له جراح مختص عملية ناجحة وأغلق الثقب، ثم وُضع في الإنعاش واستعاد وعيه بشكل ممتاز. ولكن، أثناء نقله إلى الغرفة، وبسبب إهمال بسيط في مراقبة "أنبوب" منع رجوع اللسان بعد البنج، اختنق المريض وتوفي. هذا إهمال بسيط لكن آثاره أدت إلى قتل إنسان، والطبيب مسؤول عنه شرعاً.

كذلك في المختبرات، قد يحلل أحدهم دم مريض يشتبه بإصابته بسرطان الدم، وبسبب التكاسل يكتب النتائج عشوائياً دون فحص دقيق، مما قد يؤدي لوفاة المريض أو حدوث مضاعفات، وهنا يكون الفاحص مسؤولاً. إن الدقة في النتائج المختبرية هي أساس الدراسات والبحوث والتشخيص الصحيح؛ فإذا لم يكن صاحب المختبر دقيقاً، ستكون نتائج الطبيب واستنتاجاته هزيلة وغير صحيحة.

إتقان العمل وحقوق الناس

يقول الرسول (صلى الله عليه وآله): ((إذا عمل أحدكم عملاً فليتقنه))، وهذا الإتقان مطلوب ليكون العمل مؤثراً. يروى عن والدي أنه راجع صيدلانياً لتركيب مرهم، وسأله: "هل سترتب لي الدهن كما يركبه الناس أم كما تعلمت في الكلية؟"، فأجابه الصيدلاني بأنه سيفعل كما تعلم بدقة لضمان امتصاص الجسم للدواء وتأثيره. هذه المسائل قد تبدو بسيطة، لكن آثارها على المريض كبيرة، والطبيب مسؤول شرعاً إذا لم يراعِ الدقة.

في يوم القيامة، يُؤخذ حق الناس حتى لو كان الإنسان مستحقاً للجنة بولائه وعمله الصالح. الحساب قد يطول لخمسين ألف سنة بسبب حقوق بسيطة للآخرين. وقد ورد في الروايات أن المؤمن الذي ليس لديه حساب مع الناس يدخل الجنة مع أول الداخلين، كالسيدة الزهراء (عليها السلام) التي تلتقط شيعتها كما يلتقط الطير الحب الجيد[٣]. لذا، من الأفضل للإنسان أن يصفي حقوق الناس في الدنيا حتى يذهب وهو خالي الذمة تجاههم.

[٣] - قال أبو جعفر (عليه السلام): ((والله يا جابر إنها ذلك اليوم لتلتقط شيعتها ومحبيها كما يلتقط الطير الحب الجيد من الحب الرديء)). بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٤٣ - الصفحة ٦٥

الأمانة الوظيفية والمهنية

المؤمن عندما يأخذ راتباً من الدولة، يجب أن يؤدي عمله بشـــكل كامل وفي الوقت المحدد، ولا يبرر تقصـيره بتقصـير الآخرين. في المختبر مثلاً، زراعة البكتيريا تتطلب سرعة ودقة متناهية؛ فترك الغطاء مفتوحاً لفترة أطول قد يلوث العينة ببكتيريا خارجية ويعطي نتائج خاطئة، مما يؤدي لوصـف علاج غير مناسـب للمريض. وكذلك عند سـحب الدم، يجب على الممرض تحري الوريد بدقة وعدم إيذاء المريض بمحاولات فاشـلة تسـبب له كدمات وآلاماً.

أما الطبيب، فيجب عليه الاعتماد على الفحص السـريري الدقيق كما كان يفعل الأطباء سـابقاً قبل توفر السـونار والمختبرات. من المسـؤولية الشـرعية الكبيرة ألا يتلف الطبيب مال المريض بتحاليل غير ضرورية. أحياناً يكون الصداع ناتجاً عن زكام بسيط، فلا داعي لإرسـال المريض لفحوصـات للرأس والعين والأسـنان وتكبير الفاتورة بلا مبرر طبي. للأسـف، بعض المسـتشـفيات الخاصـة في البلاد الإسـلامية تضـغط على الأطباء لزيادة الفحوصـات والتحاليل من أجل الربح المادي، وهذا سـلوك سيء يزعزع ثقة المريض بالمنظومة الصحية المحلية.

كذلك في موضـوع الإجازات المرضـية، لا يجوز للطبيب منح إجازة لشـخص غير مريض فعلياً، لأن ذلك إعانة على الظلم وهدر للمال العام أو مال رب العمل. يجب أن نعلم أن للذنوب آثاراً وضعية في الدنيا قبل الآخرة، كالابتلاء في الرزق أو الصحة أو الأبناء.

التوعية الصحية والتعامل المنصف

من المشاكل الشائعة وصف أدوية كثيرة للمريض لإرضائه وتجنب النقد، رغم أن حالته قد لا تتطلب سوى دواء واحد. بعض المجتمعات تظن أن الطبيب الذي لا يصف "الحقن" ليس طبيباً حاذقاً، وهنا يجب على الطبيب توعية الناس بمخاطر الحقن غير الضرورية ومضاعفاتها. كل دواء له مضاعفات، وتبذير الأدوية يسبب خسائر اقتصادية ومقاومة بكتيرية.

أذكر طبيباً نفسياً في بغداد، جاءته فتاة تعاني من قلق بسيط، وبعد فحصها طمأنها ورفض أخذ "الكشفية" منها ليؤكد لها أنها ليست مريضة، فخرجت وهي في غاية الفرح. هذا النوع من الانصاف والرعاية له تأثير إيجابي عظيم. وبالمثل، يمكن للطبيب أن يخفض كلفته لبعض الحالات كنوع من الصدقة الجارية، كما يفعل صاحب المتجر الذي يخفض الأسعار للأرامل والأيتام.

ويروى عن الدكتور "جهانلي"، أخصائي الأنف والأذن والحنجرة في بغداد، أنه كان يعالج الفقراء مجاناً ويمنحهم الدواء من ماله. وفي أحد الأيام، بعد أن عالج الكثيرين مجاناً، عوضه الله في آخر النهار بمريض ثري طلب مراجعته في المنزل عدة مرات وبأجر مضاعف. الرزق مضمون، ولا ينبغي للإنسان سلوك طريق الحرام لزيادته.

الخاتمة والإجابة على الأسئلة

أنا الدكتور خليل الطباطبائي، خريج كلية الطب في بغداد عام ١٩٧٣، غادرت العراق عام ١٩٧٤، وعشت ٢٥ عاماً في دبي ومثلها في كندا، ولدينا مشاريع وخدمات دينية في مناطق مختلفة من العالم.

وبخصوص سؤالكم عن العلوم الدينية، فهي ليست معقدة كما يتصور البعض؛ بل يمكن تنظيم دراستها ببساطة. يحتاج الإنسان إلى دورة في أصول الدين (حوالي ١٠٠ ساعة)، والفقه (١٠٠ ساعة)، ورد الشبهات (١٠٠ ساعة)، والأخلاق، وسيرة أهل البيت. يمكن تغطية كل هذه العلوم في ٥٠٠ ساعة دراسية. وأنا شخصياً درست أغلب هذه العلوم في مرحلتي المتوسطة والثانوية قبل دخولي كلية الطب.

أما بالنسبة لمشكلة النسيان، فغالباً ما تعود لقلة التركيز بسبب القلق أو الكآبة، أو لأسباب عضوية كنقص الفيتامينات. ويُنصح طبياً بتناول الجوز، وشرعاً بتناول ٢١ حبة من الزبيب صباحاً لتقوية الذاكرة.

في الختام، نسأل الله أن يبارك فيكم وتكونوا قدوة للمجتمع.

وأرجو منكم الدعاء لي بجوار أهل البيت (عليهم السلام). والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.